أولا: تمهيد عام

يعيش الإنسان المعاصر في ظل ثورة تكنولوجية اتصالية غيرت أسس الوجود الاجتماعي والثقافي والسياسي، حيث أصبحت تكنولوجيا الاتصال جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية، وأعادت تشكيل طبيعة الفضاء العمومي بوصفه ساحة للتفاعل والتداول والنقاش العام، وقد باتت هذه التكنولوجيات تشكل حجر الأساس في بنية العلاقات العامة والاتصال المؤسساتي، كما أعادت صياغة المفاهيم التقليدية للسلطة، والمشاركة، والرأي العام، والمجتمع المدني.

تهدف هذه المحاضرة إلى تقديم مدخل مفاهيمي وتأريخي لموضوع تكنولوجيا الاتصال وعلاقته بالفضاء العمومي، باعتباره موضوعا إشكاليا ومعقدا ومتعدد الأبعاد، يندرج ضمن تقاطعات الاتصال المؤسساتي، الإعلام، والعلاقات العامة.

ثانيا: الإطار المفاهيمي للمصطلحات الأساسية

1. **مفهوم تكنولوجيا الاتصال**

تشير تكنولوجيا الاتصال إلى مجموع الوسائل والأدوات والبرمجيات التي تستخدم لإنتاج وتخزين ومعالجة وبث وتبادل المعلومات عبر قنوات رقمية أو مادية، تشمل هذه الوسائل الشبكات السلكية واللاسلكية، الإنترنت، الهواتف الذكية، البرمجيات التفاعلية، أنظمة الحوسبة السحابية، والتطبيقات الرقمية.

- **ملاحظة مهمة** : لا تقتصر تكنولوجيا الاتصال على الوسائل الحديثة فقط، بل تتضمن تطور الوسائط من الطباعة إلى البث الإذاعي ثم التلفزيون فالأقمار الصناعية والإنترنت.

2. **مفهوم الفضاء العمومي**

الفضاء العمومي (Public Sphere) كما صاغه الفيلسوف الألماني **يورغن هابرماس** في كتابه الشهير *"الفضاء العمومي: بحث في فئة من المجتمع البرجوازي"* ، هو مجال اجتماعي مفتوح يسمح للأفراد بالتفاعل والتداول حول القضايا العامة، في ظل مبدأ العقلانية والنقاش الحر والاحترام المتبادل، بما يفضي إلى تكوين رأي عام مؤثر في صناعة القرار السياسي والاجتماعي.

3. **الفضاء العمومي الرقمي**

مع بروز الإنترنت، ظهر ما يعرف بـ"الفضاء العمومي الرقمي"، وهو امتداد للفضاء العمومي التقليدي عبر الوسائط الرقمية؛ يتيح للمواطنين فرصا أكبر للتعبير والتداول والتفاعل السياسي والاجتماعي والثقافي، إلا أن هذا الفضاء لا يخلو من التحديات المرتبطة بالرقابة، التلاعب، التزييف، والإقصاء.

ثالثا: تطور العلاقة بين التكنولوجيا والفضاء العمومي

1. **قبل الثورة الرقمية**

كان الفضاء العمومي يتشكل أساسا عبر التجمعات الواقعية كالمقاهي، قاعات المحاضرات، الصحف، والمنتديات، التي كانت تعد منصات لتداول الرأي والمشاركة العامة، وتؤدي دورا مهما في تشكيل الرأي العام والتأثير في السلطة.

2. **بعد الثورة الرقمية**

غيرت الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بنية الفضاء العمومي، حيث أصبح المواطن العادي فاعلا إعلاميا بإمكانه النشر والتأثير، مما أدى إلى تراجع احتكار المؤسسات الإعلامية الكلاسيكية.

ورغم هذا التوسع في فرص التعبير، إلا أن هيمنة المنصات الكبرى (مثل فيسبوك وتويتر) وظهور ما يعرف بـ"فقاعات الفلترة" جعل من الفضاء العمومي الرقمي ساحة مجزأة، وأحيانا أداة لتضليل الرأي العام بدل تنويره.

رابعا: الفاعلون في الفضاء العمومي

يشكل الفضاء العمومي مجالا لتفاعل عدد من الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين:

- **الطبقة السياسية** :من خلال الخطابات الرسمية، الحملات الانتخابية، والنقاشات البرلمانية.
- **المجتمع المدني**: الجمعيات، المنظمات غير الحكومية، الحركات الاحتجاجية.
- **وسائل الإعلام**: تلعب دور الوسيط بين الأحداث والجمهور، وتسهم في تشكيل الأجندة العمومية.
- **المؤسسات الاقتصادية والخدماتية** :من خلال حملات الترويج، المسؤولية الاجتماعية، التفاعل مع القضايا المجتمعية.
- **المؤسسات الثقافية**: عبر الإنتاج الرمزي والتعبيري.
  - **سؤال للمناقشة**: كيف تختلف مساهمة هذه الفئات في الفضاء العمومي التقليدي عن مساهمتها في الفضاء الرقمي؟

خامسا: الفضاء العمومي والتعبير العقلاني

يرتبط الفضاء العمومي، بحسب هابرماس، بمبدأ "الفعل التواصلي"، أي أن كل مشاركة فيه ينبغي أن تستند إلى **الحجة والمنطق والاحترام المتبادل**، لا إلى القوة أو العنف الرمزي أو الإقصاء، وتبرز أهمية هذا المبدأ في زمن تزايدت فيه خطابات الكراهية، الأخبار الزائفة، والمعلومات المضللة عبر الوسائط الرقمية.

سادسا: الإنترنت وتفكيك الحدود بين العام والخاص

مع بروز الشبكات الاجتماعية (مثل فيسبوك، إنستغرام، تويتر)، برزت إشكالية تداخل الفضاءات، حيث أصبحت الحياة الخاصة تعرض في المجال العام، وأصبح النقاش العام يتأثر بالأمزجة الفردية والصراعات الهوياتية.

- **ملاحظة** :هذا التداخل أنتج ظاهرة "العمومية الزائفة" حيث يختلط الجدل حول القضايا العامة بالقضايا الشخصية، ما قد يفرغ الفضاء العمومي من عمقه السياسي والفكري.

سابعا: أسئلة موجهة للطلبة

1. هل ما زال الفضاء العمومي يحتفظ بدوره التاريخي في تشكيل الرأي العام؟ أم أنه فقد وظيفته في ظل التكنولوجيا؟
2. هل يشكل الإنترنت فضاء عموميا ديمقراطيا مفتوحا؟ أم أنه مجرد واجهة لهيمنة خفية؟
3. ما هو وضع الفضاء العمومي في الجزائر؟ وكيف تؤثر مواقع التواصل الاجتماعي عليه؟

ثامنا: خاتمة المحاضرة

إن تكنولوجيا الاتصال أعادت تشكيل الفضاء العمومي بصورة معقدة ومتعددة الأبعاد، فهي من جهة وفرت إمكانيات واسعة للتعبير والتفاعل، ومن جهة أخرى أفرزت تحديات تتعلق بمصداقية الخطاب، أخلاقيات النقاش، والانقسامات الرمزية. ومن هنا، فإن فهم العلاقة بين هذه التكنولوجيا والفضاء العمومي لا يمكن أن يتم دون تحليل دقيق للممارسات الاتصالية الجديدة، والفاعلين، والبنى الاجتماعية والثقافية.

تاسعا: واجب للمناقشة

سؤال مفتوح للنقاش الجماعي:

في ضوء ما تم تقديمه، هل تعتقد أن الفضاء العمومي في الجزائر موجود بالفعل؟ وما هي ملامحه في ظل استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة؟